

عالم موازية: سيكولوجية الشخص في ثلاثية "محمد ديب" بين السرد والتمثيل
Parallel Worlds: The psychology of the characters in Mohamed Dib's trilogy

فروف آمال¹ *، المركز الجامعي سي الحواس بركة، طريق أموكال، بركة، 05001، الجزائر

amel.guerrouf@cu-biskra.dz

عبد الله أوغرب²، المركز الجامعي سي الحواس بركة، طريق أموكال، بركة، 05001، الجزائر

abdellah.ougherb@cu-barika.dz

مخبر دراسات في اللغة والأدب

تاريخ قبول المقال: 02-12-2025

تاريخ إرسال المقال: 10-08-2025

الملخص:

تركز هذه الدراسة على الجوانب النفسية في ثلاثية محمد ديب، لتمارس مكاشفة نفسية على الشخص الروائية، حيث كشفت كل شخصية عن أمراض نفسية. فضحت حقائق تاريخية من خلال تفاصيل بسيطة لحياة الجزائريين. ما أبرز تأثير الاستعمار على سيكولوجية الجزائريين ويكشف العوالم الداخلية المتشابهة للشخصيات التي تعاني من اضطرابات الهوية الشعور بالذنب والخوف من المستقبل.
الكلمات المفتاحية: الأمراض النفسية، الصدمات، تأثير الاحتلال.

Abstract:

This study focuses on the psychological aspects of Mohamed Dib's trilogy, to practice a psychological confrontation on the fictional characters, where each character revealed psychological. Historical facts were exposed through simple details of Algerian life. highlighting the impact of colonialism on the psychology of Algerians and revealing the intertwined inner worlds of characters suffering from identity disorders, guilt and fear of the future.

Key words : Mental Illness; Trauma ; the impact of the occupation.

* فروف آمال.

مقدمة:

تحتضن الرواية الإنسان بمختلف جوانبه حتى النفسية لتدرس سلوكه سيكولوجيته وعقله مشاعره وتصرفاته وتفاعل كل هذه العوامل مع بعضها ومع البيئة، لتأخذنا نحو عوالم نفسية لفهم الذات والغوص في أعماق النفس البشرية. واستكشاف التركيبة المعقدة للشخصيات وتحليل دوافعها لتتجاوز بذلك مجرد سرد الأحداث إلى الاستغراق في أعماق العقل الباطن.

تسمح الرواية النفسية من تقديم رؤية عميقة وتقمننا في غمار عالم النفس البشري، من عقد وأمراض نفسية وتقلبات الذات التي تؤثر على حياة الشخصيات. لتكشف هذه النصوص الآثار النفسية والصراعات الداخلية للأحداث المؤلمة وتأثيرها على النفس، كونها عبارة عن رحلة وفرصة للقارئ للغوص في عمق النفس البشرية. وقد منحنا المنهج النفسي فرصة الولوج لعمق الشخصيات من الناحية النفسية وتحليل الصدمات تفسير الدوافع وعلاقتها بالبيئة والزمن، وعليه يمكن طرح التساؤلات الموالية:

-كيف تمثلت الجوانب النفسية في فترة الاحتلال كسبب مباشر لظهور الأمراض النفسية لدى الأفراد؟

-ما الدور الذي يلعبه القمع الثقافي والاجتماعي في هذه الفترة أدى إلى بروز أنواع معينة من الأمراض النفسية؟

-كيف ساهمت هذه الأمراض النفسية في تكوين شخصية الأفراد؟

المبحث الأول: الأمراض النفسية Neurosi

المرض النفسي اضطراب وخلل على المستوى الوظيفي والنفسي يؤثر على طريقة التفكير وسيكولوجية الذات تمنعه من العيش بطريقة طبيعية وتجعله يواجه صعوبات في التعامل مع الحياة اليومية، فالأمراض النفسية عبارة عن اضطرابات نفسية-وظيفية تظهر على شكل أعراض نفسية وجسدية عديدة فتؤثر في توافق الشخص نفسيا واجتماعيا فتعيق إنتاجه وممارسة حياته بشكل طبيعي".¹

الصدمة النفسية تجربة مؤلمة وقاسية وتكون نتيجة رؤية أو عيش مشكل أو حوادث ما، لها تأثيرها السلبي على نفسية الفرد، "لـمعاشة الفرد لخبرة الحدث أو مشاهدته أو مواجهته، وهذا الحدث يتضمن موتا

¹ - مجدي أحمد محمد عبد الله، علم النفس المرضي دراسة في الشخصية بين السواء والاضطراب، دار المعرفة الجامعية،

(د.ط)، 2000م، ص 11.

أو أذى حقيقاً أو تهديداً للفرد أو لأشخاص آخرين، مع حدوث رد فعل فوري وقوي من الشعور بالخوف الشديد، أو العجز والهلع".¹

المطلب الأول: اضطراب ما بعد الصدمة PTSD

أولاً: الحدث الصدمي:

والحدث الصدمي قد يكون موتاً أو مشهد جريمة قتل، أو التعرض للتعنيف أي أن يسبب ضرراً للذات وخسارة فادحة لها، ولا بد أن تقابله الذات برد فعل قوي في اللحظة ذاتها، قد يؤدي به إلى الدخول في حالة ذعر وفزع، والشعور بالضعف أوحى الانهيار. "موقف غير عادي وظرف شاذ لم يعتد عليه الإنسان، ويتسم بالقوة والشدة وإمكانية تهديد حياة الإنسان وذويه أو ممتلكاته، ويعمل هذا الحدث الصادم عمل المنبه الضاغط ويترتب عليه تأثيرات سلبية وأعراض مرضية"²، فهو حدث يترك أثره السلبي في الشخص لما يتسم به من حدة ويمارس ضغط عليه ما يدخله في حالة من الصدمة المرضية.

ثانياً: اضطراب ما بعد الصدمة - زهراء:-

اضطراب ما بعد الصدمة حالة نفسية وعقلية نتيجة التعرض لحادث صادم وقوي يقحم الذات في اضطرابات على مستوى وظائفها وبشكل تهديد خطيراً على صحتها، ف"اضطراب كرب ما بعد الصدمة (Post-Traumatic Stress Disorder-PTSD) المعروف أيضاً باسم اضطراب ما بعد الصدمة، هو حالة يتعرض فيها شخص ما لحدث مروّع لدرجة أن صحته النفسية والعقلية تتعرض لاضطراب حقيقي بعد هذا الحدث. تأثير الحدث يكون أكبر من أن يعالج ويتعامل معه بشكل طبيعي. بشكل أكثر تحديد، اضطراب كرب ما بعد الصدمة هو معاشة حدث يتضمن تهديدات خطيرة للسلامة و/حرمة الجسد، إما للشخص نفسه أو لشخص آخر"³، فهو خلل يصيب الأشخاص الذين يتعرضون لصدمة مفاجئة وحادة في حياتهم سواء متعلقة بهم أو بالأشخاص المحيطين بهم، فتتدهور صحتهم النفسية بعد الصدمة مباشرة.

¹ - محمد أحمد محمود خطاب، المرجع السابق، ص 37.

² - المرجع نفسه، ص 37-38.

³ - دين برنيت، فهم الأمراض النفسية منطقياً، عصير الكتب، ط1، 2022م، ص 200.



صورة رقم (1) هجوم الشرطة على دار
صبيطار -سلسل الحريق حلقة 03

والحدث الصدمي في مسلسل الحريق عند اقتحام الشرطة الفرنسية الدار الكبير على غفلة من أهلها ودون معرفة الأسباب، فجأة وجدوا خصوصية بيوتهم تنتهك، وكان له أثره على كل أهل الدار خاصة شخصية زهراء التي غابت عن الوعي من أثر الصدمة ودخلت في حالة اكتئاب حادة أودت بها إلى المرض دون معرفة الأسباب.

نلمح إغماء زهراء بعد مشاهدتها للشرطة الفرنسية تقتحم الدار، وسط صراخ وفزع النسوة، اللاتي لم يحتملن هول ما حدث؛ انكشفوا على رجال غرباء أتوا لأخذ رجالهم عنوة من أمامهم يضربون ويدفعون كل من يلقيه أمامهم، هو حدث هائل بالنسبة لهم شكل صدمة قوية في حياتهم وخلف ندبا لا يزول بقيت آثاره تصاحب كل جزائري عاش في تلك الفترة، نحن شعب عاش حياة مليئة بالصدمات والألم والحسرة والدم. وكانت ترواها أحلام وكوابيس حول هذا المشهد المرعب من ضرب وتعنيف الشرطة لسكان الدار، على شكل ومضات خاطفة في شكل كوابيس ليلية تحول دون تذكر واستيعاب ما يراودها في المنام، أو تذكر التفاصيل لما حصل، ذلك أن دماغها لم يحتفظ إلا ببعض الصور المشوشة التي تسربت من خلال لا وعيها. وهو ما يظهر في حديثها مع والدتها:

"يما يما

-الزهراء واشبيك

-منيش عارفة

-وقيل قعدت نهترف".¹

ف"من المفارقات أن اضطراب كرب ما بعد الصدمة غالبا ما يمنعك من تذكر تفاصيل معينة من الحدث. يبدو أن مخك، في محاولة نبيلة للحفاظ على الذات، لن يسمح لك عمدا بإعادة معايشة الصدمة المعروفة. لذلك، أحيانا ما يمنعك من تذكر الحادث إراديا، مما قد يكون مفيدا لمعالجته والتصالح معه".²

¹ - مصطفى بديع، مسلسل الحريق، الحلقة 03، 1988م.

² - دين برنيت، فهم الأمراض النفسية منطقيا، ص 201-202.

وعليه فقد كان اقتحام الشرطة لدار صبيطار حدثا صادما له أثر في نفسية سكان المنزل، وقد عانت شخصية زهور من آثار اضطراب ما بعد الصدمة وظلت رواسب هذا الحدث تلاحقها على ومضات كابوسية غير واضحة لم تستطع زهور تذكر تفاصيلها وما يزعجها، ذلك أن عقلها يحاول منعها من تذكر الحوادث السيئة.

المطلب الثاني: الاكتئاب Depression

الاكتئاب رد فعل ذهني طبيعي حدوثه هو حالة دفاعية لواقعة مأسوية تركت ما تركت من ركام وانكسارات في النفس البشرية ذلك أنه استجابة عقلية للمجريات الواقعة؛ "حينها تكون في حالة نفسية وعقلية منهكة بمعنى الكلمة، وتفتقر إلى أي دافع أو طاقة ملموسة، بالإضافة إلى أنك لا تستطيع فعل أي شيء حيال ذلك. إن الشعور بالاكتئاب عندما تعطيك الحياة ضربة مدمرة يعني أن مخك يستجيب بشكل مناسب لشيء حدث بالفعل".¹

أولا: منون:

كانت شخصية منون حبيسة الأحداث البائسة التي قلبت موازين حياتها وحولتها إلى جحيم، وذبلت أنوثتها في ريعان شبابها، بداية من ضياع أولادها وبقيت تجهل مصيرهم هل أحياء أم أموات، وظلت تتخبط في شقائها تذكرهم ليل ونهار.

¹ - دين برنيت، المرجع السابق، ص 125.

ثانيا: الأعراض:

الأعراض	الشاهد من المسلسل	الشاهد من الرواية
"فقدان العلاقة بالواقع... تكرار تصور الصدمة، والأفكار المرتبطة، وتوهمها، ومعاودة صداها الصوري، أو الإحساس بأنه يعيشها مرة أخرى، أو الارتباك لمجرد تذكر هذه الأحداث الصادمة"¹. "الحزن". التشاؤم من المستقبل. الإحساس بالفشل. السخط وعدم الرضا. الإحساس بالندم والذنب"². "انقباض الصدر والشعور بالضيق والوجه المقنع. فقدان الشهية ورفض الطعام (الاعتقاد بعدم استحقاقه أو الرغبة في الموت وهذا نوع من أنواع الانتحار) ونقص الوزن والإمساك"³.	وهو ما كانت تعيشه شخصية منون من تكرار لحادث وذكريات مؤلمة ظلت راسخة في ذهنها، وهو ما يدخلها في حالة من الهذيان المستمر والانفعال. "ولادي ولادي ولادي رايحين يموتو ولادي ولادي . أنا عارفة راح نموت نموت بلا منشوف ولادي راني رايحة من هذي الدنيا ونخليهم من ورايا يتامى الموت الموت الموت الموت"⁴. صورة رقم (2) اكتئاب "منون" 	"وكانت منون تهذي في غرفتها بصوت ضعيف. لقد اختلط عقلها منذ بضعة أيام. فقدت وعيها، إنها تجهل الآن ما يقع حولها"⁵. "وارتفع صوت منون يقول وقد فاض بالحزن: -أعرف أنني سأموت.. يا أمي.. لن أراك بعد ذلك.. ولن أرى أولادي.."¹.

¹ - عبد الستار إبراهيم وعبد الله عسكر، علم النفس الإكلينيكي (في ميدان الطب النفسي)، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، ط1، 2008م، ص 67.

² - عبد الستار، إبراهيم، الاكتئاب والكدر النفسي (فهمه وأساليب علاجه منظور معرفي- نفسي)، دار الكاتب للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، 2008م، ص 60.

³ - عبد السلام زهران، الصحة النفسية والعلاج النفسي، عالم الكتب للنشر والتوزيع والطباعة، القاهرة، مصر، ط4، 1426هـ-2005م، ص 516.

⁴ - المسلسل، الحلقة 04.

⁵ - ثلاثية محمد ديب، النول الحريق الدار الكبيرة، ترجمة: سامي الدروبي، دار الوحدة، بيروت، لبنان، (د.ط)، 1980م، ص

	وتتبدى ملامح الحزن والتشاؤم والشعور بالضيق والتوتر في الصورة التي تظهر فيها منون نحيلة الجسم بوجه شاحب فارغ من معالم الحياة.	
--	--	--

هكذا نشأت علاقة حميمة بين منون والموت، وصارت كل مشاعر الحزن والأسى تزورها. وجهها يحمل شقاء مئات السنين، ذلك الوجه النحيل الذي فقد لونه، والجسد الهزيل الذي أنهكته مشاهد العنف.

المطلب الثالث: توهم المرض Hypochondriacal Reaction

الشعور بالمرض دون ظهور أعراض محددة وتفسيرات طبية تدل على وجوده، مرض نفسي يشعر صاحبه بالضعف ولا يقدر على القيام بالأعمال بشكل طبيعي دون وجود مرض عضوي بعينه، هو ما يدعى بـ"توهم المرض اضطراب نفسي المنشأ عبارة عن اعتقاد راسخ بوجود مرض رغم عدم وجود دليل طبي على ذلك. وهو تركيز الفرد على أعراض جسمية ليس لها أساس عضوي، وذلك يؤدي إلى حصر تفكير الفرد في نفسه واهتمامه المرضي الدائم بصحته وجسمه".² (حامد عبد السلام زهران، 2005، صفحة 490)

-سليمة:

وهو ما تعانية شخصية "سليمة" من شعور بالمرض والضعف وعدم القدرة على عمل أي شيء، رغم أن ليس لها مرض عضوي يؤثر على صحتها. خاصة وأن المخرج لمح لاحتتمالية وجود ادعاء المرض من قبل الشخصية بغرض التهرب من الأعمال المنزلية الشاقة التي تفرض على كل امرأة جزائرية، فتحاول الشخصية التملص من عبئها بتوهم المرض وأنها غير قادرة على القيام بأي جهد، وتظل مستلقية في الفراش. "وهذه متغسلهمش. "وهديك دير روحها مريضة علاه متجيش تعاوني شويأ لها.

¹ - الرواية، ص 32.

² - حامد عبد السلام زهران، الصحة النفسية والعلاج النفسي، ص 490.

بوه تحاسبي ختك¹.

غير أنها في وقت المسامرة أو تناول الطعام نجدها تستعيد عافيتها ولا تشعر بأي ألم، وهو ما لمحت له أختها فطيمة التي اهتمتها بادعاء المرض لتجنب الأعمال المنزلية

المطلب الرابع: نوبات الهلع Panic Disorder

-ديدي كريمو:

اضطراب الهلع يصنف ضمن اضطرابات القلق، وهو أحد الأمراض التي قد تشكل عائق للشخص المريض ويجد صعوبة في التأقلم مع أعراضه المتعددة من اضطرابات أعيااء قلق مستمر.. وغيرها، ذلك أنه "أحد أنواع اضطرابات القلق الأخرى هو اضطراب الهلع **Panic Disorder**، والذي يعتبر مشكلة قوية بشكل خاص، حيث يعاني الشخص نوبات هلع منتظمة. اضطراب القلق المعمم، بكل أعراضه التي لا تعد ولا تحصى، منهك باستمرار، ولكن بطريقة أكثر تدرجا".²

حالة نفسية تنتاب المصاب بشكل مفاجئ يصحب هذه النوبات مشاعر الخوف والذعر والتوتر مع أعراض جسدية قوية، "أما نوبات الهلع، في المقابل، تتطوي على الكثير من نفس الأعراض، مثل سرعة خفقان دقات القلب، والارتعاش، والارتجاف، والتعرق، وجفاف الفم، والإعياء، وألم الصدر، والدوخة، لكنها تصيبك كلها جميعا دفعة واحدة، في انفجار واحد شديد".³

-الأعراض:

الأعراض العامة	الأعراض في المسلسل
----------------	--------------------

¹ - المسلسل، الحلقة، الحلقة 02.

² - دين برنيت، فهم الأمراض النفسية منطقيا، ص 197.

³ - المرجع نفسه، ص 197.

-شخصية كريمو تعاني من بعض التشنجات الظاهرة على مستوى الوجه. -إغماء. -غضب فورة غضب قلق توتر عض أطراف أصابع. -حالة هلع صراخ باسمه اهتزاز جسده وشد على رأسه إلى درجة فقدان السيطرة والإحساس بأن تصرفاته مجنونة. -حمل سكين وصراخ.²	-"الشعور بالدوار والتشويش، عدم القدرة على الوقوف. -فقدان حس الواقع أو فقدان الأنسية Derealization or Depersonalization -الخوف من فقدان السيطرة أو أن يصبح مجنوناً. الخوف من الموت. -تشوش الحس والشعور بالخدر والتمثيل (باريثيزيا Paresthesias -الشعور بالبرد والقشعريرة أو الحرارة الزائدة المتهيجة".¹
--	---

وهذه الانفعالات والتشنجات تصيب الشخصية بلا أسباب وجيهة، أتفه الأشياء تثيرها، ويصيبها التوتر والهلع بلا وجود خطر حقيقي، وهذه الحالة أقحمت فيها شخصية كريمو بعد عودته من السفر بعد ادعائه بأنه سيعبر البحر مسافراً لبلدان بعيدة، لكن في ظل الظروف العصيبة وحظر تجوال نستبعد فكرة سفره وعبوره البحر، خاصة وأنه عاد شخصاً آخر متوتراً يغضب بسرعة وتصيبه نوبات هلع مفاجئة بلا مبررات فعلية تدعوه.

ونرجح أن سفره كان لأجل الالتحاق بالإخوان ومساندتهم، ذلك أنه نسي حقيبتة والتي كانت فارغة في الأصل بحيث قذفتها أخته فطيمة له دون عناء وبسهولة أمسكها، فهو لم يعرها اهتمام، وهذا يعني أنه ذاهب إلى مكان لا يحتاج فيه لأغراض كثيرة، بقدر ما يحتاج تواجهه هناك، وأيضاً التفاته المستمر للوراء بعد خروجه من المنزل والخوف من أن أعينا قد ترصده وتتعبه، كذلك التغير الجذري الذي طرأ على شخصه توتره التشنجات التي تصيبه نوبات الهلع، كلها تقول أنه ذهب إلى مكان خطير ورأى فيه من الهول ما ترك الأثر في نفسيته، ولم يستطع العودة مثل كما كان في السابق خسر شخصه، فالمسافر عبر البلدان بغية المتعة لا يعود بالهيئة التي عاد بها كريمو.

والتوتر والقلق الزائد والتعب من العوامل الشائعة التي تؤدي إلى تفاقم هذه التشنجات، ذلك أن الاستعمار الفرنسي لم يترك مجرد جروح وندب جسديه بل حلف وراءه نزيف وجروح نفسية لم نستطع الشفاء منها.

¹ - عبد الستار إبراهيم وعبد الله العسكر، علم النفس الإكلينيكي (في ميدان الطب النفسي)، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، ط4، ص 2008م، ص 52-53.

² - المسلسل، الحلقة 10.

المطلب الخامس: القلق Worry

- عيني:

القلق بمثابة محفز بيولوجي طبيعي وجوده في العقل البشري مثله مثل باقي الكائنات الأخرى التي قد تشعر بالقلق عند الأحساس باقتراب الخطر، كذلك الإنسان يستثيره الشعور بالقلق حيال الكثير من الأمور التي قد تشغله وتؤرق فكره، لكن قد يشغل القلق حيزا كبيرا من العقل بشكل هستيري، فيتحول القلق إلى حالة مرضية، "هو حالة توتر شامل ومستمر نتيجة توقع تهديد خطر فعلي أو رمزي قد يحدث ويصاحبها غامض، وأعراض نفسية جسيمة. ويكون المريض وكأن لسان حاله يقول: شاعر بمصيبة قادمة"¹.

وعيني كانت دائمة القلق تفرغ طاقة التوتر والضيق التي تجتاحها من خلال صب فورة غضبها على أولادها، فكانت ساخطة نائمة كل الوقت عليهم، حتى أنها كانت تعنف ولدها عمر وحتى والدتها، حين تتذكر عجزها وعدم مقدرتها على إعالة تلك البطون الجائعة.

فضغوطات الحياة جعلت من صورة الأم الحنون والرفيقة التي تغمر أولادها بالعطف والحنان تتزعزع، فكانت عيني نموذج للأم المتقهقرة القلقة الساخطة على وضعها، هي صورة صنعتها الظروف والبيئة التي فاقمت من أزمة الشخصية، حيث اضطرت لأن تكون المرأة والرجل في ذات الوقت، ومعيلة لأربعة أفواه، هذه المسؤولية الكبيرة في ظل انتشار الفقر والبطالة، فرغم عملها ليل نهار بالكاف تكسب ثمن الخبز الذي يكفيهم لأيام قليلة لتتجدد مأساتهم ومعاناتهم.

يسهم بشكل كبير في حالة القلق. عيني كانت تغلي كالقدر في معظم الأوقات ذهابا ومجيئا تتحدث مع أولادها بلغة قاسية، وما هي إلا تعبير عن مخاوفها حول مصير أسرتها المجهول، في مواجهة الجوع وهي امرأة وحيدة لا معيل يساندها، وحتى بالرغم من زوال الأمر الذي يغضبها فإن غضبها وقلقها لا يزوال تبقى هواجس الخوف تلاحقها تتلف أعصابها دفعة واحدة وتجعلها في حالة غير مستقرة. قليلة المواقف التي كان يعود إليها عيني توازنها لتكون تلك الأم الحنون الرفيقة التي طالما عهدنا.

¹ - حامد عبد السلام زهران، الصحة النفسية والعلاج النفسي، ص 484.

المطلب السادس: هيبفيليا hebephilia

أولاً: علي كارا:

الهيبفيليا تفضيلات جنسية يظهرها البالغون اتجاه الأشخاص الأصغر سناً منهم، "تفضيل جنسي آخر ينتمي إلى مجموعة **chronophilia**. يظهر عندما يختبر شخص بالغ الانجذاب الجنسي للمراهقين في سن المراهقة المبكرة، أي الذين تتراوح أعمارهم بين 11 و 14 عاماً".¹

وشخصية قره علي الرجل البالغ من العمر حوالي الخمسين عاماً والمتزوج، ينظر لزهاء الفتاة البريئة القاصر وهي التي بكاد تبلغ الأربع عشر عاماً، نظرة اشتهاة ورغبة، لم يحترم عمرها الصغير وانتهاك براءتها بنظراته الغريزية، وسعر حياها بالانجذاب الجنسي، وكأن التي أمامه امرأة بالغة مكتملة النضوج لا طفلة بالكاد لم تخرج من مراهقتها، ولا تعي شيئاً. وكيف استطاع أن يفضل الطفلة الصغيرة ويتغزل بها ويصفها بالجمال، في حين أن زوجته لا تلقى منه سوى سوء المعاملة. "أنت تظنين أنني رجل لا ألاحظ شيئاً، أليس كذلك؟ أنني أرى زهور دائماً، فأدرك على كونها طفلة، تصبح امرأة يوماً بعد يوم.. ما عمرها؟

سيكون عمرها بعد قليل أربعة عشر عاماً وشهرين أو ثلاثة.

-حقاً لقد أصبحت امرأة، امرأة جميلة".²

وقد حاول التقرب من زهاء في غفلة منها ويرمقها وفي عينه شزر ولم يبعدهما من ساقها، فهذا التصرف لا يليق برجل واع وبالغ أن يفكر تفكيراً قذرة بطفلة، وأن يسعى لافتكاك براءتها وتحطيمها ولو بحجة الزواج مستترا خلف الأعراف والتقاليد الاجتماعية التي فاقمت من معاناة الطفلة الجزائرية التي كانت تزوج باكراً وهي لا تفقه شيئاً عن الثقافة الجنسية، فهو استيلا ب لشخصها واغتصاب بحق طفولتها، وإشباع لرغبات المرضى المصابين بالهيبفيليا، وغطاء لهم يستر مرضهم وهوسهم ناحية الأطفال والفتيات البكر.

وقد كان يحاول الاختلاء بزهاء مسترقاً النظر لساقها العاريتين بلا قصد منها، "كان قره يتكلم، مائلاً عليها، وكانت هي لا تحاول أن تفهم ما يقول، شاعرة بأن رجلاً هو الذي يحيط بها الآن... فلما

¹ - hebephilia و Ephebophilia - ما هما والاضطرابات الجنسية

, <https://ar.vse-o-tattoo.ru> 13/08/2024, 14:09

² - الرواية، ص 262.

رفعت رأسها أخيرا والتفت إلى قره لاحظت أنه كان لا يحول نظراته عن ساقها العاريتين. فأسرعت تضم ساقها".¹

وبدل من أن يشبع رغباته مع امرأة بالغة مثله بحيث يحقق التكافؤ من كل النواحي الفكرية والجنسية والجسدية، نجده يسعى نحو نموذج أصغر وأقل كفؤ لتفريغ قوته وطاقته المرضية وإشباع ساديته. مستنقرا زوجته ومستحقرا لها.

المبحث الثاني: العقدة Complex

العقد سلوكيات ذاتية متواجدة بشكل دائم، استجابة وتعويض على نقائص كامنة في الذات البشرية التي تسعى لتغطية عيوبها وتفريغها من خلال ممارسة أشكال دفاعية عكسية تخلصها من عقدها. كونها "جهاز انفعالي-سلوكي ذاتي استجابة للمواقف النموذجية" غير المندمجة مع الأنا في العقد غير المعوضة ومندمجة مرضيا مع الأنا في الأشكال الناتجة عن الدفاعات الذاتية الناجحة".²

المطلب الأول: العدوانية Aggressive

-فطيمة

العدوانية من السلوكيات المعقدة إذ تظهر بصور متعددة كتعبير وتنفيس عن الغضب تتسم بالعنف والحدة تتأثر بعوامل بيولوجية اجتماعية ونفسية كلها عوامل تتفاعل لتحدد سلوك الفرد، بالرغم من أنها في بعض الأحيان تكون وسيلة دفاعية ومجرد رد فعل، إلا أن ذلك لا ينكر عواقبها السلبية على المستوى الفردي والاجتماعي. ف"العدوانية دافع طبيعي، ومعظم عدوانية الفرد يكشف عنها خلال عمله وفي أوقات فراغه، وتندرج العدوانية من الألفاظ والتعبير بالكلمات إلى الأفعال العنيفة باستخدام القوة الجسمية".³

وتتسم شخصية فطيمة بالعدوانية اتجاه كل أفراد الدار من جيران، ولا يسلم من سلاطة لسانها وعدوانيتها لا الكبير ولا الصغير، "عيني وليدك دريوه جنون روجي كتبيلو عند كاشي طالب".⁴

حتى أفراد عائلتها كانت تطالهم بألفاظها العدائية ولا تقوت فرصة الهجوم عليهم، خاصة أختها الأقل منها سنا سليمة كانت دائما ما تجري معارك طاحنة بينهما تكون فطيمة السبب في بدءها، ذلك أنها

¹ - الرواية، ص 263.

² - روجيه موكيالي، العقد النفسية، ترجمة: مورييس شربل، منشورات عويدات، بيروت، باريس، ط1، 1988م، ص 50.

³ - مجدي أحمد محمد عبد الله، علم النفس المرضي (دراسة في الشخصية بين السواء والاضطراب)، دار المعرفة الجامعية،

(د.ط)، 2000م، ص 191.

⁴ - المسلسل، الحلقة 09.

تشعر بالظلم والقهر حين تقوم بكل أعمال المنزل من طهي وغسيل وتنظيف، في حين أن أختها لا تقوم بشيء. هذا ما يستفزها ويجعلها تكون معادية اتجاه أفراد عائلتها، التي تقوم بتدليل سليمة ومراعاة كريمو كونه رجل البيت.

"والله منخدمها والله منخدمها وعلاش هكدا والله منخدمها والله منخدمها... أنا شاكة بلي ماشي نت لي ولدتي منغيضك متحني عليا
-مريضة أنا نشوف فيها لباس عليها بالحرام راها تعصر في روحها باه تسلك من الطياب والشغل والمسيح.

-راني نعصر في روعي مرانيش مريضة يما راكي تسمعي فيها يما قوليلي علاش ولدتي دعيقة وكاملة الصحة هي لي داتها قوليلي قوليلي".¹
ونجدها تفرغ طاقتها العدوانية حتى خارج المنزل كي تشفي غيظا من فيض الغل الذي يجتاح روحها، وتخوض صراعات مع الجيران خاصة جاريتها عيني، ونجد شخصية فطيمة دائمة ما تقحم نفسها في تحديات ومواجهات مع الآخرين، فلا تستكين.

"بوه لالا عيني استحي على عرضك

نستحي على عرضي ... راني في بيتي ونسلك في كراتي ونعمل واش نحب

وهاد لكرا راكي تخلصي فيه لينا باش ديري بينا واش تحبي"، كونها امرأة وصلت سن الزواج ولم يأتها العريس الذي ينقذها من الظلم والشفاء الذي تعيشه في منزل أهلها، هو ما فاقم أزماتها وشعورها بالوحدة، حتى أن الجارات كن يزدن من معاناتها ويضعطن على الجرح أكثر ويقمن مناداتها بالعانس ما يجعلها تستشيط غضبا ويزيد من حدة عدوانيتها، "بايرة البايارات رام في بيتك أما أنا لالاك".² (مصطفى بديع، 1988)

المطلب الثاني: عقدة الإهمال Neglect Complex

-عمر

يحتاج كل طفل الشعور بالاهتمام ودفء العائلة وحصنها بغية النشوء في بيئة صحية سليمة. وتفكك العائلة يؤدي إلى إهمال الأطفال وانكسارهم، لعدم الحصول على الاهتمام والعناية المشبعة لاحتياجات الطفل، ما يصنع جرح نفسي عميق وإحساس بالنقص والقهر والضياع. "وتدعى غالبا عقدة

¹ - المسلسل، الحلقة 02.

² - المسلسل، الحلقة 09.

"الحرمان العاطفي" أو "عقدة المنع" أو "عقدة الرفض"، تدل عقدة الإهمال هذه على حساسية متطرفة في القصور العاطفي وفقدان الحب ووسواس في الابتعاد العاطفي، لا بل تصدعه¹.
وقد عانت شخصية الطفل عمر من عقدة الإهمال إذا كانت والدته تتعامل مع أطفالها بقسوة خاصة عمر، وفقدت العلاقة بينهما روابط العاطفة والحنان كانت تخاطبه بلغة عنيفة "عمر.. عمر.. ارجع.. حمى سوداء تأخذك"².

وتشعرهم بأنهم عبئ عليها وحمل ثقيل زاد من شقائها وبأسها، "وها أنتم تتشبثون بي كالعلق الذي يمتص الدم. لقد كنت غبية.. كان ينبغي أن أترككم في الشارع، وأن أهرب إلى جبل خال مقفر"³.
هذا كله جعل من شخصية عمر قاسية من الخارج هشة من الداخل متأزمة تحس بعدم جدوى حياتها وترغب بالانتحار بشدة، "ولكن لماذا لا يقتل نفسه.. لماذا لا يرمي بنفسه من أعلى سطح"⁴.
فهذا الإهمال تطور إلى أزمة نفسية شديدة جعلت من الطفل يفضل الموت على هذه الحياة البائسة التي لا طائل منها، رغبة منه في التخلص من هذه الحوادث السيئة التي يمر بها يوميا طالما أنه لا يجد الحب من أي شخص، فحالة الحرمان العاطفي التي يعايشها جعلته يغرب في الفرار ومحاولة التخلص من الضغط والألم، ف"العدوان المتجه إلى الداخل، والانتقام من الآخرين وجعلهم يشعرون بالذنب، ومحاولة لفرض الحب على الآخرين، ومحاولة للتكفير عن أخطاء الماضي، ومحاولة لتخليص النفس من مشاعر غير مقبولة"⁵.

المطلب الثالث: عقدة النقص Inferiority Complex

تتطوي عقدة النقص على مشاعر العجز والإحساس بالدونية والتقزم وانعدام الكفاءات نتيجة انعدام الثقة بالنفس والرضا بما لديها ما يجعل المرء يقارن نفسه بالآخرين، فيواجه صعوبة في بناء العلاقات الاجتماعية، كما قد تبدر منه سلوكيات مضرّة لتعويض الإحساس بالنقص.
"إن عقدة النقص هي التأكيد الصادق بأن الشخص ليس على المستوى المطلوب وبأنه غير كفؤ وبأنه محكوم عليه هكذا، أو بأنه شخص يهزأ منه أو أنه مجال للسخرية"⁶.

¹ - روجيه موكيالي، العقد النفسية، ص 73.

² - الرواية، ص 29

³ - الرواية، ص 28.

⁴ - الرواية، ص 27.

⁵ - عبد الستار إبراهيم، علم النفس الإكلينيكي، ص 217.

⁶ - روجيه موكيالي، العقد النفسية، ص 100.

وتظهر عقدة النقص في شخصية علي قره المعادية لجيرانه من الفلاحين والمستمرة في محاولة إيذائهم ورفض محاولات الثورة والتغيير التي تخطر على بالهم، فمجرد فكرة أن يتغير مصير الفلاحين إلى الأحسن أو يصلوا إلى نفس المستوى المعيشي معه يخيفه الأمر. "ولكنهم يتجمعون ويعتصبون، فذلك هو ما يجب أن نفكر مليا، ولما كان في ذلك شر كبير. ولكنهم يتجمعون ويعتصبون، فذلك هو ما يجب أن نفكر فيه مليا".¹

و تقوده عقده بالنقص اتجاه الأولاد لعدم تمكنه من الإنجاب إلى الشعور بالرضا حين يعرف بخبر تجنيد الشباب الجزائريين من أجل حرب فرنسا ضد ألمانيا، نجده يتلذذ بالخبر ولا يكثرث لأمرهم حتى إذا ماتوا، "أما ابن أختي فإنني سعيد بذهابه إلى الحرب. يجب أن يذهب إلى الحرب. ستعلمه الحرب الحياة. ستقلل الحرب اهتمامه بدهن شعره بالزيت، وبالتجول في الشوارع عاري الرأس مرتديا الثياب الفرنسية. قال المرأة بينها وبين نفسها: "يا لك من عقرب عجوز. إن هؤلاء الفتيان الذاهبين إلى الموت قد يكونون أولادك. نعم.. لقد كنت دائما تحسد الناس".²

المبحث الثالث: المتلازمة Syndrom

المتلازمة حين تجتمع جملة من الأعراض والعلامات المرضية والمتسلسلة توحى بوجود تصرفات غير طبيعية تجعل الفرد يحمل سمات تميزه عن الشخص العادي، فهي "مجموعة من السمات أو الاختلالات التي يمكن التعرف عليها والتي تميل إل الحدوث معا وترتبط بمرض معين/ المتلازمة في الحقيقة مجموعة من السمات أو السمات المميزة التي تعمل معا". (ما الفرق بين المتلازمة والاضطراب؟، (2020)

المطلب الأول: متلازمة ستوكهولم Syndrom Stockholm

أولا: لالة:

"لا يعرف الكثير منا ماذا تعني متلازمة ستوكهولم منذ ظهورها في سبعينيات القرن الماضي، هل هي عقد نفسية أم أن التسمية تشير إلى حالة دعر يطور فيها أشخاص محتجزون رابطا عاطفيا مع أسريهم".³

¹ - الرواية، ص 146.

² - الرواية، ص 201.

³ - العرب، ع 12869، الثلاثاء 2023/08/22م.

ونجد شخصية لالة المنغمسة في حب السلطات الفرنسية مكنة لها كل الولاء والطاعة كأنها مواطنة فرنسية أو أن فرنسا هي الوريث الشرعي للجزائر يحق لها فرض سلطتها عليها وسن قوانينها كيفما تشاء، وكأنه من الطبيعي أن تحكم الجزائر سلطة دخيلة. وترى في فرنسا السلطة المثالية بقوتها ونفوذها الذي أثار إعجابها وجعلها تكون في صف العدو الغاصب، الذي نكل برجالنا ونسائنا ولم يرحم صغیرنا ولا كبيرنا، هذا الاستعمار الذي زرع مفاهيم الأمان والاستقرار، وأصبح الأفراد يخافون السير ليل نهار، ولا يأمنون على أنفسهم حتى في بيوتهم.

ببساطة تتعاطف شخصية لالة التي تقف في صف الاستعمار الفرنسي تؤيد وجوده وتتمسك به، داعمة لفرنسا تتمنى بقاء هذه السلطة المستغلة، ونجد هذه العلاقة تطورت لتكون إيماناً راسخاً في ذهن الشخصية وصارت تسعى في استماتة للدفاع عنهم وترفض أي كلمة مسيئة بحقهم، أو تشجيع لأولئك الذين يقفون في وجهها من المناضلين بعد أن أضحو مجرمين وقطاع طرق لمجرد أنهم فتحوا بصيرة الناس وكشفوا حقيقة المستعمر الغاصب.

يظهر هذا في حوارها مع "عيني" ويبدو لنا جلياً دفاعها المستميت عن الاحتلال الغاصب في مقابل احتقارها الشديد لأبناء جلدتها كأنهم لا يستحقون الحياة خلقوا فقط ليكونوا عبيداً عند أسيادها؛ "وهن يقلن أن عدداً من الرجال قد اعتقل منذ الآن، في كل مدينة من المدن. إن هؤلاء الرجال يعملون في السياسة يقلقون الأذهان، فمتى وضعوا حيث يجب أن يوضعوا هداً بال الناس واستراحوا.

"-هوه.. لا.. هه! يريدون أن يتحدوا الفرنسيين. هل عندهم أسلحة؟ وهل في رؤوسهم علم؟ على رسلك! إنهم لا يملكون إلا جنونهم وفقرهم ليبقوا ساكتين، ذلك أجدى لهم. فهل يقدرّون على أن يقاتلوا الفرنسيين؟

-لا نعرف.

-أما أنا فأعرف. هؤلاء أناس حمقى أغبياء. إن ما يريدونه هو أن يحلوا محل الفرنسيين. فهل يعرفون كيف يحكمون".¹

وترى أن وجود فرنسا يصب في مصلحة الجزائري الذي لا يقدر بعقله الصغير ووسائله البسيطة أن يتولى زمام السلطة مكان فرنسا العظمى، ماذا يعرف هو عن السلطة والنفوذ وهو الذي لم يقم سوى ببعض الأعمال البسيطة من نسيج وزراعة. فهذه الفئة التي تعاني من متلازمة ستوكهولم نجدها تقوم

¹ - الرواية، ص 55.

بخداع أنفسهم من خلال تقديم حجج واهية تعطي للمجرم -في هذه الحالة الاستعمار- أحقية الاستمرار في سلطته العسكرية.

وشخصية لالة ليست الوحيدة التي تعاني من هذه المتلازمة لنصادف أعراضا مشابهة لها في شخص قره وما يبيده من استسلام لمطالب الاحتلال وأجندته مؤيد لقوانينه المجحفة، والحالة الطبيعية أن يقف الشخص مع بني جلدته من أبناء الوطن الذي يقاسمهم الهوية والدين، فالقوانين الفرنسية ما جاءت إلا لتحمي المستوطنين وتجعلهم أسيادا في مقابل قمع السكان الأصليين وإفقارهم وجعلهم عبيدا في خدمة الفرنسيين.

ثانيا: علي كارا:

في حين أن شخصية "علي كارا" هو الآخر يعترف بفرنسا أما له ووطنه، معلنا ولائه التام للاحتلال الفرنسي، في حديثه مع أحد موظفين الحكومة الفرنسية في الدراما التلفزيونية: "يا مسيو سوبريفي فرنسا يمانا لي حب حب ولي محبش جمونفو"¹، ونلمس خضوعا مستميتا في هذه الشخصية التي تخشى حتى إدارة ظهرها في وجه الاحتلال الفرنسي، وتعامله بوقار وإجلال في مقابل تجاهل واستحقار الآخر لها وعدم اكترائه بأمرها.



صورة رقم (4) خضوع علي

كارا للحكومة الفرنسية -مسلسل

وتتغمس في الولاء للاستعمار وتعظيمه وتخشى حتى من إدارة الظهر له. غير ان الشخصية تغمض عينيها عن كل السلبيات وتحاول اصطناع إيجابيات وذرائع واهية تزين بها الصورة المشوهة لفرنسا.

¹ - المسلسل، الحلقة 06.

وبدل أن يكون الصراع بين العدو والضحايا من الجزائريين، نصادف شخصية قره تخوض صراعات مع إخوانها الفلاحين للدفاع عن فرنسا؛ وهو ما يتجلى في حوار مع بن أيوب -أحد الفلاحين: "وقال أخيرا: -أي شر في هذا؟ الشر فيه هو أنه قد لا ترضى عنه السلطات (...)" بن أيوب -"أنت ما الذي يهكم من هذا كله؟ ما شأنك وشأن السلطة حتى تقلق عليها هذا القلق كله؟"¹.

ذلك أن قره علي يرى الخير في الاحتلال المجرم ويتحمل مسؤولية الدفاع عنها وكأنه ابن لها ومواطن فرنسي يقلق على مصالحها ويخشى عليها من ثورة الفلاحين ومحاولاتهم التمرد عليها. وينظر لفرنسا نظرة تعظيم وإجلال وتقديس. وهو ما يشير إليه صراحة وعلانية: "صحيح. ولكن بفضل من؟ بفضل الفرنسيين. الفرنسي إنسان عظيم، إنسان عاقل حكيم. لكنه واحد من الأوائل.. فهو الذي أنشأ أول مزرعة، وغرس أول كرم. كان الفرنسي يعرف ماذا يعمل. وبلغ من حسن معرفته بما يعمل أنه لم ينشئ مزرعة واحدة وكروما واحدا، بل سرعان ما أنشأ عشر مزارع، فمائة فألفا، وغرس مثل هذا العدد من الكروم أيضا..

-هذه الكهوف التي يعصرون فيها العنب، وهذه العنابر التي يخزنون فيها القمح والشعير، لا شك أن أجدادك لم يتصوروا مثلها"².

في حين أنه يستحق الجزائريين من بني جلدته ويلقبهم باللصوص، حين تقلب كل الموازين ليستحيل الجاني ضحية والمجني عليه مجرما حين يطالب بأبسط حقوقه ويأبى سياسة الاستغلال والاستعباد.

هذا التعاطف الذي يصل إلى درجة الدفاع عن المجرم والتضامن معه صراحة وعلانية، وهنا تقبل الشخصية التعايش مع المجرم وترى فيه المخلص والمنجي الوحيد الذي تمكن من إخراج الجزائر من بدائيتها بأن قام ببعض الإصلاحات الاقتصادية والزراعية التي لم يستفد منها سوى المعمرين، في حين ظل السكان الأصليون عبيد يعملون بشقاء مقابل بقشيش لا يكفيهم لشراء قطعة خبز. حيث يصبح الشخص الضحية متعاطفا مع المجرم والمتسبب في أزمته، هذا الاستعمار الذي سلب الجزائريين وطنهم وديارهم ومنعهم من خيراتهم كل هذه الصفات الوحشية تجعل من فرنسا مجرما.

¹ الرواية، ص 147-150.

² - الرواية، ص 170-171.

الخاتمة:

وصفوة القول فيما تم التطرق إليه من أفكار آنفة نجد أن الروائي "محمد ديب" توليفة فنية يمتزج فيها الواقع والخيال الماضي والحاضر، ليقحم القارئ في تجربة نفسية تكشف عن واقع سيكولوجية النفس الجزائرية الجريحة، وتظهر الآثار المدمرة للاستعمار على الفرد والوعي الجمعي. وقد استفادت الدراما التلفزيونية من استخدام تقنيات السرد والتمثيل لتجسيد المعاناة النفسية بتناقضاتها وصراعاتها الداخلية والأثر الذي خلفه الاحتلال الفرنسي، وعلى بساطة السرد وعرض التفاصيل اليومية.

كما تمكن العمل الفني من التغلغل في النفس البشرية والتعبير عن واقع المجتمع الجزائري كما هو. ليحكي عن الواقع المعاش بما يتحمله من أوجاع وأسرار مدفونة، نظن أنها مضت مع حقبتها التاريخية إلا أنها أسهمت في تشكل وبناء عقلية ونفسية مجتمع بأسره انتقلت عبر الأجيال.

التوصيات:

- استغلال التعبيرات غير اللفظية: يجب على كتاب السيناريو التركيز على كتابة مشاهد تسمح للممثلين باستخدام التعبيرات غير اللفظية (مثل لغة الجسد، نظرات العيون، التوتر الصامت).

- لا بد من تسليط الضوء على الجوانب السيكولوجية للشعوب المستعمرة وتأثير الحرب على نفسية الإنسان وعقليته.

- الدراسة العميقة للخلفية النفسية للشخصيات بغية الكشف عن ظواهر نفسية جديدة.

أولاً: الكتب:

- ديب محمد، ثلاثية محمد ديب (الدار الكبيرة الحريق النول)، ترجمة: سامي الدروبي، دار الوحدة، بيروت، لبنان، 1980م.
- روجيه موكيالي، العقد النفسية مورييس شريل، منشورات عويدات، ط1، بيروت، باريس، 1988م.
- عبد الله محمد أحمد مجدي، علم النفس المرضي دراسة في الشخصية بين السواء والاضطراب، دار المعرفة الجامعية، 2000م.
- عبد السلام زهران، الصحة النفسية والعلاج النفسي، ط4، عالم الكتب للنشر والتوزيع والطباعة، القاهرة، مصر، ط4، 2005م.

- عبد الستار إبراهيم و عبد الستار عبد الله، علم النفس الإكلينيكي (في ميدان الطب النفسي)، ط1، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، 2008م.
- عبد الستار إبراهيم ، الاكتئاب والكدر النفسي (فهمه وأساليبه علاجه منظور معرفي- نفسي)، ط2، دار الكاتب للطباعة والنشر والتوزيع، 2008م.
- مجدي أحمد محمد عبد الله، علم النفس المرضي (دراسة في الشخصية بين السواء والاضطراب)، دار المعرفة الجامعية، 2000م.
- محمد أحمد محمود خطاب، علم النفس المرضي (دراسات إكلينيكية متعمقة)، ط1، المكتب العربي للمعارف، القاهرة مصر، 2017م.

ثانيا: المجالات:

- نصف قرن على ظهور متلازمة ستوكهولم، العرب، ع 12869، 2023م.

ثالثا: المسلسلات التلفزيونية:

- مصطفى بديع، الحريق، 1988م.

رابعا: المواقع الإلكترونية:

- hebephilia و Ephebophilia - ما هما والاضطرابات الجنسية، 2022:

<https://ar.vse-o-tattoo.ru13/08/2024>

- عبد الرحمن حبيب، روايات الجوائز.. أحمد مراد يغوص في أعماق النفس البشرية بـ"الفيل الأزرق"، 2023: <http://www.youm7.com> 11/09/2024